

الحلقة الرابعة

سلسلة انتشار المسيحية

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا قد بدأنا قبل ثلاثة لقاءات بالحديث عن انتشار المسيحية بعد سفر أعمال الرسل، أي خلال العشرين قرناً الماضية.

وتبين لنا أن جميع الرسل الأوائل ساهموا في نشر المسيحية ببلدان عديدة، وقد استشهد معظمهم. وتعرض المسيحيون الأوائل إلى أفسى أنواع الاضطهاد. لكن المسيحية انتصرت، وصارت دين الدولة الرومانية الرسمي. وهذا ما أدى لنتائج سلبية، إذ حاولت الدولة فرض سيطرتها على الكنيسة المسيحية. وعُقد مجمع نيقية الذي أقرّ قانون الإيمان في أوائل القرن الرابع. ثم أخذت المسيحية تنتشر في معظم أنحاء القارة الأوروبية.

وتبيّن لنا أن المسيحية انتشرت في عالمنا العربي. وخاصة في فلسطين وسورية ولبنان والعراق (الأشوريين والكلدان)، ومصر (الأقباط)، واليمن وشمال أفريقيا. وكانت أنطاكية في سورية مركزاً هاماً للمسيحية. واعتنقت قبائل نجران العربية المسيحية، وكذلك الغساسنة والمناذرة. وكان للعرب المسيحيين دور في بناء الدولة الأموية بدمشق. وانتشرت المسيحية في أثيوبيا، ووصلت إلى السودان وإيران والهند والصين ومنغوليا.

كنا قد ذكرنا سابقاً أن الأرمن كانوا أول شعب يعتنق المسيحية، عندما آمن ملكهم بالمسيحية، وذلك عام ثلاثمائة وواحد ميلادي. وكان الرسولان تداوس وبرثلماوس قد بشرّا بالمسيحية في أرمينيا في القرن الأول. لكن المسيحية لم ترسخ أقدامها في بلاد الأرمن إلا بعد أن تُرجم الكتاب المقدس إلى اللغة الأرمنية، على يد النابغة الأرمني مسروب. وقام بالترجمة هيئة مؤلفة من مئة وستين شخصاً، التي استغرقت حوالي ثلاثين عاماً.

وكانت روسيا آخر الدول الأوروبية التي اعتنقت المسيحية في القرن العاشر الميلادي. وقد قامت الكنيسة اليونانية الشرقية، والتي كان مركزها في القسطنطينية أي في استامبول (تركيا) حالياً، بإدخال المسيحية إلى روسيا. وكانت قد آمنت بالمسيحية أولاً الملكة أولغا ملكة كييف في جنوب روسيا، واعتمدت عام تسعمئة وسبعة وخمسين في القسطنطينية، وصارت عضواً في الكنيسة اليونانية. وأنت بكاهن يوناني ليبشر بالمسيحية في روسيا. ولم تفلح الملكة أولغا بإقناع ابنها الأمير على اعتناق المسيحية، لكن

أثرها بقي كبيرا على حفيدها الأمير فلاديمير. وهو الذي بدأ يبحث عندما كبر عن حقيقة الأديان، وقرر في النهاية أن يصبح مسيحيا ويعتمد. وحطمَ عندها الأمير فلاديمير التمثال الذي أقامه للاله الوثني، وألقاه في النهر. ثم أصدر مرسوما يدعو به الشعب كله للمجيء إلى ضفاف نهر الدنيبر للمعمودية واعتناق المسيحية.

على أن الأمير فلاديمير بعد أن عرف المسيحية معرفة أفضل، أدرك أن القوة ليست هي الوسيلة الملائمة لاستمالة الناس إلى المسيح. ولهذا بدلا من القسر والإرغام، أخذ يُفتح شعبه بالمسيحية عن طريق اللين والحسنى. وأنشأ الأمير فلاديمير المدارس لتعليم الأحداث، وبنى الكنائس، وعيّن المعلمين والكهنة، وبعث ابناء النبلاء إلى القسطنطينية لإعدادهم ليكونوا مبشرين بين الشعب. وبنى كاتدرائية رائعة في عاصمة ملكه كييف. على أن المسيحية لم تزدهر في روسيا إلا في عهد ابنه باروسلاف في القرن الحادي عشر. والذي قام العلماء في عهده بترجمة الكتب الدينية من اللغة اليونانية إلى الروسية. وإعداد كتب لتعليم الأحداث مبادئ الدين.

تكون بذلك قد انتهينا من الحديث باختصار شديد عن انتشار المسيحية في معظم بلدان العالم القديم، خلال القرون العشرة الميلادية الأولى. ويجدر بنا أن ننوه الآن بالمراكز المسيحية الرئيسية في تلك الفترة.

كنا قد علمنا سابقا أن الكنيسة المسيحية بعد أن أصبحت دين الامبراطورية الرومانية الرسمي، جعلت من كل مدينة أبرشية أقامت عليها أسقفا. على أنه كان لكنائس أو أبرشيات بعض المدن امتيازات تقليدية خاصة. وهو ما أقره مجمع نيقية الذي عُقد عام ثلاثمائة وخمسة وعشرون ميلادية. وهكذا أصبح لكنائس روما والاسكندرية وأنطاكية وضع خاص، ومسؤولية كبرى. كل منها مسؤول عن الكنائس في الأقاليم المجاورة له. كذلك راعى مجمع نيقية مكانة أسقف أورشليم، فأعطاه مركزا خاصا. وذلك لأن أورشليم في فلسطين هي مهد المسيحية، وكنيستها أم الكنائس كلها، وهو ما علمنا به من دراستنا لسفر أعمال الرسل. وفي مجمع القسطنطينية الذي عُقد عام ثلاثمائة وواحد وثمانين، أُعطي أسقف القسطنطينية رتبة في الكنيسة تلي رتبة أسقف روما مباشرة. وبذلك أصبح أساقفة هذه الكنائس الخمس في مركز المسؤولية العليا. وهذه الكنائس الخمس هي: كنيسة روما في إيطاليا، والاسكندرية في مصر، وأنطاكية في سورية، وأورشليم في فلسطين، والقسطنطينية أو استامبول في تركيا حاليا. وصار أساقفتها بالتالي بطاركة.

لكن انقسام الامبراطورية الرومانية عام ثلاثمائة وخمسة وتسعون إلى قسمين، غربي عاصمته روما، وشرقي عاصمته

القسطنطينية، أدى لبدء النزاع بين أسقف الكنيسة في روما، وأسقف الكنيسة في القسطنطينية. وهو ما عُرف في التاريخ بالنزاع بين الكنيسة الغربية في روما، والكنيسة الشرقية البيزنطية في القسطنطينية. وقد أدى هذا النزاع إلى الانفصال التام والنهائي بين الكنيستين عام ألف وأربعة وخمسين ميلادية. وهكذا ظهرت إلى الوجود في الغرب الطائفة الكاثوليكية أي الجامعة، بقيادة كنيسة روما. وفي الشرق الكنيسة الأرثوذكسية أي المستقيمة الرأي، اليونانية، بقيادة كنيسة القسطنطينية.

ثم ظهرت الكنيسة البروتستانتية، فنتيجة لاستفحال الفساد، والتعاليم الخاطئة، والممارسات غير الصحيحة في الكنيسة الكاثوليكية، بدأ الراهب مارتن لوثر حركته الإصلاحية، وذلك عام ألف وخمسمئة وسبعة عشر، وهو ما عُرف في التاريخ بالإصلاح الديني. ثم تبعه المصلح جون كالفن، الذي كان محاميا فرنسيا. وكان أول من كتب تفسيرا ودفاعا عن العقائد الإصلاحية الجديدة، وصار من اللاهوتيين المشهورين. واتخذ من مدينة جنيف في سويسرا مركزا له. وهكذا بدأت الكنيسة البروتستانتية أي المحتجة، التي كانت وليدة عهد الإصلاح في القرن السادس عشر. وكان لها آثار بارزة في التاريخ. فهي أفسحت المجال لإصلاح الكثير من عيوب الكنيسة ومساوئها. ومهدت الطريق للحرية المسيحية، مما سمح للناس أن يناقشوا ويفصحوا عن آرائهم فيما ينبغي أن يكون عليه تعليم الكنيسة ونظامها وإدارتها. وفتحت صفحات الكتاب المقدس ليقراها الجميع ويفهمها من غير قيود. ولهذا يُطلق على الكنيسة البروتستانتية اسم الكنيسة الانجيلية، نسبة إلى الإنجيل المقدس.

ويركز البروتستانت على أن خلاص الإنسان يكون عن طريق الإيمان فقط، أي الإيمان بالمخلص المسيح وعمله الكفاري. وكان لهذه الحرية في التفكير والبحث والدرس، نتائجها في انقسام البروتستانتية إلى طوائف وفرق عديدة. كالتائفة اللوثرية والمصلحة والمشيخية والمعمدانية وغيرها، تتفق فيما بينها على أساس التعليم الإنجيلي. وكان من نتائج حركة الإصلاح الديني، أنها قسمت الكنيسة في أوروبا إلى شطرين رئيسيين، الكاثوليك والبروتستانت أو الإنجيليين. فاشتد العداء بينهما، وغرقت أوروبا في حروب دينية، واضطهادات دموية عنيفة. وكانت من آثار الإصلاح الديني الإيجابية، أنه مهد الطريق أمام العمل التبشيري المسيحي. إذ انطلق المبشرون يحملون رسالة الإنجيل المفرحة إلى كل أنحاء العالم. وهكذا بدأت الدعوة المسيحية تنتشر من جديد.

صديقي المستمع، سنتحدث في اللقاء القادم إن شاء الله، عن هذا العمل التبشيري الجبار، الذي حصل خلال القرون الأربعة الماضية، والذي وصل إلى كل أنحاء العالم وبقاعه. وماذا عنك أنت مستمعي؟ ألا تود أن تحصل على خلاص الله، وأن تصبح من أولاده المبررين؟ تعال بتوبة صادقة وإيمان أكيد بالمخلص المسيح وعمله الكفاري على الصليب.